

تفسير البحر المحيط

@ 334 @ في اختلاف ألوان الناس وخلقهم وخلقهم ومللهم . وقيل : صيانا ثم شبابا ثم
شيوخا وضعفاء ثم أقوياء . وقيل : معنى { أَطْوَارًا } : أنواعا صحيحا وسقيما
وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا . % .
قوله عز وجل : { أَلَمْ تَرَ وَاءُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّاهُ سَيْعَ * سَمَواتِ *
طَباقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا *
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ مِّنْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا *
لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمُ الْعَصَوْنِي
وَأَتَّبِعُوكُمْ مِّنْ لِّمَّ يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا
مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوءَاعًا وَلَا يَغْنُوثَ وَيَعْجُوثَ وَنَسِيرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدَّ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مَّمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَضُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا
فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا * إِنَّ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا
عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا لَاسًا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِوَالِدَيَّ
وَلِلْمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } . .

لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في أنفسهم ، وكيف انتقلوا من حال إلى حال ، وكانت
الأنفس أقرب ما يفكرون فيه منهم ، أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله ، وما أودع
تعالى فيه ، أي في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود . وتقدم شرح
{ طَبَقًا } في سورة الملك ، والضمير في فيهن عائد على السموات ، ويقال : القمر في
السماء الدنيا ، وصح كون السموات طرفا للقمر ، لأنه لا يلزم من الطرف أن يملأه المطروف .
تقول : زيد في المدينة ، وهو في جزء منها ، ولم تقيد الشمس بطرف ، فقيل : هي في
الرابعة ، وقيل : في الخامسة ، وقيل : في الشتاء في الرابعة ، وفي الصيف في السابعة ،
وهذا شيء لا يوقف على معرفته إلا من علم الهيئة . ويذكر أصحاب هذا العلم أنه يقوم عندهم
البراهين القاطعة على صحة ما يدعونه ، وأن في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمة □ وقدرته
وباهر مصنوعاته . { سِرَاجًا } يستضيء به أهل الدنيا ، كما يستضيء الناس بالسراج في

بيوتهم ، ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الإضاءة ، ولذلك ؛ جاء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، والضياء أقوى من النور . والإنبيات استعارة في الإنشاء ، أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه ، فصح نسبتهم كلهم إلى أنهم أنبتوا منها . وانتصاب نباتاً بأنبتكم مصدراً على حذف الزائد ، أي إنباتاً ، أو على إضمار فعل ، أي فنبتم نباتاً . وقال الزمخشري : المعنى أنبتكم فنبتم ، أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم . انتهى . ولا أعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكره . { ثُمَّ - يُعِيدُكُمْ فِيهَا } : أي يصيركم فيها مقبورين ، { وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً } : أي يوم القيامة ، وأكده بالمصدر ، أي ذلك واقع لا محالة . { بَسَاطاً } تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه . وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة ، { سُبُلًا } : طرفاً ، { فَجَاجاً } : متسعة ، وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج . .

ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال ، { قَالَ نُوحُ رَبِّ } { إِنَّهُمْ عَصَوْنِي } : الضمير للجميع ، وكان قد قال لهم : { وَأَطِيعُونَ } ، وكان قد أقام فيهم ما نص الله تعالى عليه { أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً } ، وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين . { وَاتَّبِعُوا } : أي عامتهم وسفلتهم ، إذ لا يصح عوده على الجميع في عبادة الأصنام . { مَن لَّمْ يَزِدْهُ } : أي رؤسائهم وكبرائهم ، وهم الذين كان ما تأثلوه من المال وما تكثروا به من الولد سبباً في خسارتهم في الآخرة ، وكان سبب هلاكهم في الدنيا . وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والأعرج ومجاهد والأخوان وابن كثير وأبو عمرو ونافع ، في رواية خارجة : وولده بضم الواو وسكون اللام ؛ والسلمي والحسن أيضاً وأبو رجاء وابن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر : بفتحهما ، وهما لغتان ، كبخل وبخل ؛ والحسن أيضاً والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن أبي إسحاق وأبو عمرو ، في رواية : كسر الواو وسكون اللام . وقال أبو حاتم : يمكن أن يكون الولد بالضم جمع الولد ، كخشب وخشب ، وقد قال حسان بن ثابت :
% (يا بكر آمنة المبارك بكرها % .

من ولد محصنة بسعد الأسعد .

) %